جمهورية مصر العربية	٦ من شوال ١٤٣٨هـ
وزارة الأوقاف	٣٠ من يونيو ٢٠١٧م

(١)

ماذا بعد رمضان ؟ وماذا أفدنا منه؟

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فما أسرع ما تنقضي الأيام ، وما أعجل ما تنتهي الشهور والأعوام ، وتلك سنة الله (عز وجل) في خلقه ، لا تتبدل ولا تتحول ، قال تعالى:{فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً}، أيامٌ تمرُّ وأعوامٌ تكرُّ ، وفي تقلب الدهر عبر ، وفي تغير الأحوال مُدَّكر ، يقول سبحانه : {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}.

بالأمس القريب كنا نعيش في شهر رمضان ، نصوم نهاره ونقوم ليله ، ونقرأ القرآن ونتصدق من فضول أموالنا ، ونتسابق إلى الخيرات ، فكان موسمًا عظيمًا للتجارة الرابحة مع الله (عز وجل).

وانقضى شهر رمضان بخيراته وبركاته ، فهنيئًا لمن صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا ، وهنيئًا له التأسي بالسلف الصالح (رضوان الله تعالى عليهم) الذين كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهرٍ أخرى أن يتقبله منهم ، فكل أوقاتهم عبادة ، فليحمدِ الله (عز وجل) على توفيقه ، وليسأله سبحانه وتعالى القَبولَ ، فإنَّ الله (عز وجلَّ) لا يُضِيع أجْرَ مَن أحسن عملاً ، وليكن لسان حاله ما قاله سيدنا سليمان (عليه السلام): {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}.

والمتأمل في حال كثيرٍ من المسلمين اليوم بعد مضي شهر رمضان يجد أنهم قد انقسموا إلى فريقين:

الأول: المؤمن الحق الذي أثر الصيام في أخلاقه وسلوكه ، فيعلم علم اليقين أن ربَّ رمضان هو رب جميع الشهور والأعوام ، فتجده دائم الصلة بربه (عز وجل) ، فهو عبد ربانيّ وليس عبدًا رمضانيًّا ، فيستمر على عبادته بعد رمضان ، والمحافظة على الصلوات وسائر العبادات ، والبعد عن المحرمات.

والثاني: حال من لم يستفد من صيامه فلم يؤثر الصيام في خشيته لله وحسن مراقبته الدائمة له ، وكأنهم يعتقدون أن الله تعالى رقيب عليهم في رمضان وغائب عنهم في غير رمضان ، {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}، وهؤلاء لم يكن لشهر رمضان أثرٌ في نفوسهم وقلوبهم ، أما المسلم الحق فيستمر على طاعة الله تعالى بعد رمضان ، ويعملُ العمل راجيًا من الله (عز وجل) القبول.

على أن العمل الصالح له علامات قبول يَعرف بها العبدُ أن الله تعالى تقبل منه عمله وطاعته ، ومن هذه العلامات :

* المداومة على الطاعة والاستمرار عليها دون تقيد بزمان أو مكان ، فليس للطاعات موسمٌ معينٌ ، وإنما هي مستمرة مع العبد في حياته كلها ، لا تنقضي حتى ينقضي أجله ، وهذا ما أمر الله به رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حيث قال: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}، أي: استمر على الطاعة والعبادة حتى يأتيك الموت ، وحين سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : (كيف كان عَمَلُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الْأَيَّامِ ؟ قَالَتْ : لاَ ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً) ، ولمَّا سُئِلَ

النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: (أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ) .

ومن هنا يجب على المسلم أن يستمر على الأعمال الصالحة ، وأن يستقيم على الطاعة ، فقد أمر الله (عز وجل) نبيه (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين بالاستقامة وحثَّهم على ملازمتها ، فقال سبحانه : {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك ؟ قال: (قل: آمنت بالله ، ثم استقم) ، فالاستقامة على الطاعة والاستمرار عليها من صفات عباد الله المؤمنين ، يقول تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}.

وقال الحسن البصري : " إن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها ، ومن عقوبة السيئة السيئةُ بعدها ، فإذا قبل الله العبد فإنه يوفقه إلى الطاعة ، ويصرفه عن المعصية ".

فمن عمل حسنة ثم أتبعها بأخرى كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، ومن عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة على ردِّ الحسنة وعدم قبولها ، فالطاعة المتقبلة تتبعها مثلها ، وهذا من حسنها وبركتها ، والسيئة تجر إلى مثلها.

* ومن علامات قبول العمل الصالح : حسن الخاتمة ، وحقيقتها : أن يُوفق الله (عزّ وجلّ) العبد قبل وفاته للتوبة من الذنوب والمعاصي ، والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة ، فالمداومة على الأعمال الصالحة من علامات حسن الخاتمة .

وقد دعانا الحق سبحانه وتعالى إلى السعي الجاد لحسن الخاتمة ، فقال تعالى:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، ودعا إليها الأنبياءُ والمرسلون ، فالله (عزّ وجلّ) يقول عن إبراهيم ويعقوب (عليهما السلام):{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، ويقول على لسان يوسف (عليه السلام):{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) ، فليحرص كل مسلم عاقل على حسن الخاتمة لكل أعماله ، لتحقيق السعادة الأبدية ، وهي الفوز بالجنة التي أعدها الله (عز وجل) لتكون دار الكرامة لمن حسنت خاتمتهم .

ومن هذه النماذج التي أحسن الله ختامها : قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ، والذي أخبر عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ

الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدمي فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ) ، فعلينا أن نداوم على الطاعات ، وأن نستمر على ما تعودنا عليه من الأعمال الصالحة ، حتى يتقبل الله منا جميع أعمالنا ، وحتى يحسن الله خاتمتنا .

* ومن علامات قبول العمل الصالح : الخوف من عدم القبول ، فالله سبحانه وتعالى غني عن طاعاتنا وعباداتنا ، قال عز وجل: {وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}، وقال تعالى: { إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } ، والمؤمن مع شدة إقباله على الطاعات ، والتقرب إلى الله بأنواع القربات إلا أنه مشفق على نفسه أشد الإشفاق ، يخشى أن يُحرم من القبول ، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ! قال: (لا يا ابنة الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدقون ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم ، أولئك الذين يسارعون في الخيرات).

فعلى الرغم من حرصه على أداء هذه العبادات فإنه لا يركن إلى جهده ، بل يستقل أعماله، ويظهر الافتقار التام لعفو الله ورحمته ، ويمتلئ قلبه مهابة ووجلاً ، يخشى أن ترد عليه أعماله والعياذ بالله.

وقد كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإتقانه ، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ، ويخافون من رده، وهؤلاء الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة، يعطي

ويخشى ألا يقبل منه، يتصدق ويخشى أن ترد عليه ، يصوم ، ويقوم ويخشى ألا يكتب له الأجر فكانوا لقبول العمل أشد اهتمامًا بالعمل ذاته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله وصحبه أجمعين. **أخوة الإسلام** :

من علامات قبول العمل الصالح: أن يظهر أثره في سلوك المسلم وأخلاقه ومعاملاته مع الخلق ، وفي مراقبة الله (عز وجل) له ، فإن الطاعات وسيلة لتزكية النفوس ، وتطهير القلوب ، وسلامة الصدور ، وكلّما ازدادَ المسلم طاعةً ازداد عِلمًا وعملاً وهدًى ، قال تعالى:{وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}، وقال تعالى:{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}، فالمجتَمَع الذي يداوم أفرادُه على الطاعات تضعف فيه نوازِع الشرّ ويحَصَّن من الفساد ، لأنَّ العبادات والطاعات تهذّب الأخلاق وتقوِّم السلوكَ ، ومن ثم ينصلح حال الفرد ويرقى المجتمع بأخلاقه.

وعلى هذا فلنستعن جميعًا بالله ، ولنداوم على الطاعة والعمل الصالح ، ونخلص لله (عز وجل) العمل ، لأن الله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا لوجهه ، يقول تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، ونعزم على عدم العودة إلى الذنب مرة ثانية ، ولا نكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة ، قال مجاهدٌ وقتادةُ – رحمهما الله –: هذا مَثَلٌ لِمَن نقض عهدَه بعد توكيده ، وهذا مَثَل العمل الذي لا يكون له ثمرةٌ ولا نتيجة إلاَّ التعب والنصب.

ولنا أن نتخيل تاجرًا جمع المال حتى كثر ، ثم تركه دون حراسة فعرضه للسرقة

والضياع؟ وهذا حال من عبد الله في رمضان وعمل الصالحات دون أن يؤمنها بالطاعات ويحصنها بالاستقامة ، فهذا هو الإفلاس الحقيقي الذي حذرنا منه النبي (صلى الله عليه وسلم) حين قَالَ : (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ : (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ).

ونذكر بصيام الست من شوال التي رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في صيامها بقوله: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) ، فمن مَنَّ الله عليه بصيامها نسأل الله تعالى له القبول ، ومن لم يتم صيامها فأمامه فيما بقي من الشهر متسعٌ كبير .

ولنا أن تساءل : ماذا أفدنا من رمضان ، ومن تلاوة القرآن الكريم فيه؟ هل تخلقنا بأخلاق القرآن ، وأخلاق نبي القرآن (صلى الله عليه وسلم) ، من الرحمة والكرم ، والبر والصلة، وحسن المراقبة لله (عز وجل) ، وحسن التعامل مع الخلق ، وحفظ الدماء والأموال والأعراض ، وحب الأوطان والحفاظ عليها ؟

إن كان كذلك فهذا هو الصيام الحق ، وهذا هو الفهم الصحيح للإسلام ، أما إن كان غير ذلك من شطط أو جنوح نحو الفوضى ، أو الفساد والإفساد ، أو التخريب ، أو ترويع الآمنين ، أو سفك الدماء ، فهو مالا علاقة له بالإسلام ولا بالقرآن ، ولا صام صاحبه ولا استفاد بصيام .

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا أعمالنا ، وطاعاتنا ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.